محاضرات في النص الأدبي القديم " نثر"

المستوى :سنة أولى ليسانس " المجموعة الثانية"

الأستاذة :وهيبة لماني

المحاضرة الرابعة:

ترتبط القصة بالحياة وبأحداثها المختلفة، فهي مادتها الأصلية الأولى، ومنبع إبداعها، وقد عرف العرب كغيرهم من الأمم القصة وتفننوا في ايجاد أشكال مختلفة لها، فعرف العصر الجاهلي أنواع متعددة من القصص منها القصص الأسطوري، القصص الخرافي، القصص الواقعي، قصة المثل " القصة المضمرة "

" هناك فرق بين الأسطورة والخرافة فالأسطورة قصص شعبي يعبر عن تجارب الإنسانية البدائية، وتهتم بموقف الإنسان من قوى الطبيعة ومن الآلهة والكائنات الواقعية، أي أن الأسطورة مرتبطة بالمعتقد الإنساني، فهي تعد حقيقة عند أصحابها في زمن معين، وغير حقيقية عند غيرهم أو في زمن آخر، أما الخرافة فليست محل اعتقاد لا من الذي يقصها ويرويها ولا من الذي يسمعها، لأن الأسطورة تكون موضع اعتقاد لدى أصحابها فلا ينظرون إليها على أنها قصة حقيقية خيالية "

وعلى الرغم من أن القصة الجاهلية كانت قصة شفوية تتعرض للتحريف والتغيير حتى في زمنها، إلا أنها حافظت على مضمونها العام وعلى تيماتها الخاصة، وبعض صيغها اللغوية المميزة كما في أساطيرها وأمثالها والكثير من أخبارها.

وظل القصص فنا شعبيا محببا في العصر الإسلامي فتطور ونما بصورة لم يسبق لها مثيل، وكان القص القرآني حافزا مهمًا في إقبال الناس على القص،وصنف

النقاد القصص في هذه الفترة الزمنية " الإسلامي والأموي " إلى قصص ديني: " يضم القصص القرآني، القصص الأسطوري " الاسرائيليات " ، السيرة النبوية " ، القصص التاريخي الأسطوري والقصص الواقعي.

نشير إلى أن القص الديني – آنذاك –كان يحقق أهداف دينية وأخرى سياسية.

ولم يمنع انتشار التدوين" تدوين القصة" في بداية العصر العباسي من انتشار واستمرار الشفوية " القصة الشفوية"،فمن العوامل التي أسهمت في استمرار الثقافة الشفوية انتشار ظاهرة السمر انتشارا ساعدت عليه الحياة الجديدة بما حفلت من نوادر وأسواق ومجالس وحلقات في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء وغيرها.

*وجود عدد غير قليل من القصاص فقد غدا الاستماع إلى القصص نشاطا شعبيا يضاهي الاهتمامات الأخرى كالصيد والتنزه

وعلى العموم فقد أثرت الكثير من الظواهر التي أفرزتها الأوضاع الاجتماعية والفكرية والسياسية على القصة العباسية، امتد هذا التأثير بالاضافة إلى الموضوعات إلى بنية القصة ولغتها، فقد تحررت اللغة من أحاديثها الرسمية، حيث أخذت لغة المولدين والمحدثين تزحزح اللغة القديمة شيئا فشيئا.

* سادت السخرية في الأعمال القصصية، أي هدم البنى القديمة للمجتمع من قيم وأخلاق وثقافة ولغة، وأصبح " المحتال " و " المهرج " و " العيار " وأمثالهم أبطال القصص المعبرة عن هذا العصر في محاكاة ساخرة طبعت معظم الأعمال في هذا العصر كسخرية الجاحظ في البخلاء، وحكاية أبي المطهر الأزدي، ومقامات الهمذاني، رسالة الغفران ...إلخ

*الانتقال من الخبر والمثل إلى القصة الفنية

* تنوعت القصة العباسية وأخذت أشكال مختلفة " القصة الدينية التاريخية، القصة الواقعية، المقامة، القصة الفلسفية النقدية، القصة الشعبية"

كليلة ودمنة:

نقل ابن المقفع كتاب " كليلة ودمنة " عن اللغة الفهلوية وهناك من يرى أن الفرس أخذوه عن السريانية، والكتاب– كما هو معروف– هندي الأصل عثر على أصول قصصه في كتاب الهند القديمة مثل: بانشتانترا ومهابهاراتا وفشنوسارنا وغيرها، ويبدو أن ابن المقفع ترجم الكتاب بتصرف وأضاف إليه الكثير من القصص استمده من مطالعاته في كتب متعددة وقد أضاف مقدمة الكتاب و"باب برزويه" ليكون مدخلا قصصيا لقصصه الإطارية ، ويشير د، محمد رجب النجار إلى أصالة نسبة الكتاب إلى ابن المقفع ، فإن الأبواب الأربعة " الأولى وأكثر من نصف الحكايات غير واردة في الأصل الهندي، وأن الحكاية الإطارية " دبشليم وبيدبا" ، تخص الكتاب العربي فقط، ويرى أن أسلوب القص متميز بإثارته السردية، وأن للكتاب العربي أربعة أغراض تربوية وعقلية وجمالية وأدبية موجهة أساسا إلى الشعب، أما الهندي فله غرض تربوي أو تعليمي واحد وموجه إلى الصفوة، وأن الحكايات الفرعية مختلفة حذفا وإضافة أو تقديمًا أو تأخيرا.فمجموع الحكايات الفرعية في النص العربي "٤٤" حكاية وفي الهندي ٣٢حكاية

١/ مضمون الكتاب:

الكتاب موضوع على ألسنة الحيوان، ولكنه موجه إلى الإنسان عامة ففيه تعاليم إلى الحكام، وإلى طبقات شتى من طبقات المجتمع، واهتم بنوع خاص ببيان واجبات الملوك وما ينبغي أن يكونوا عليه، وأكثر في ذلك من ضرب الأمثلة وتوجيه النصح

وتفصيل الصفات والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الملوك والحكام كالعلم والحلم وحسن الحيلة والوفاء والأمانة...إلخ

وفي الكتاب نزعة تعليمية أخلاقية، إذ يحث على الزهد والتقوى و الاخلاص و الأمانة، وفيه تمتزج فلسفة اليونان بحكمة الهند وثقافة الفرس، ففيه مسحة من المنطق اليوناني، تبدو في تقسيمه وتفريعه، ممتزجة بروحانية الشرق ونزعته نحو الزهد والتدين والإيمان بقوة عليا تسيطر على الكون و تسيره، ولذلك نجد فيه ميلا نحو الجبرية رغم تأثره بالفلسفة اليونانية، و اكباره من شأن العقل

ويحتوي الكتاب على أربع مقدمات وستة عشر بابا، حول موضوعات شتى، وتقوم مناقشته لموضوعاته على أسئلة يلقيها" دبشليم الملك" على" بيدبا الفيلسوف"، الذي يجيب عليها، ثم يؤكد اجابته بكثير من القصص والأمثال المتداخلة ، ولكنها محكمة النسج، وأحيانا يُصرح بمغزى المثل الذي يضربه، وأحيانا يُلمح إليه، ويترك للقارئ مهمة الوصول إليه ومجمل ما في الكتاب يهدف في النهاية إلى إبراز وتجسيد المثل العليا التي تجعل لحياة الإنسان قيمة ومعنى، وتجعله أقل شقاء ومعاناة

٢/ الأسلوب:

أسلوب ابن المقفع يعتمد على اليسر والوضوح والرصانة والجزالة والاقتصاد في الألفاظ والدقة في التعبير والقوة في الأداء والتوازن التام بين المعاني والألفاظ.

والأفكار تسير في تسلسل رزين نحو الهدف، والبراهين جلية قوية، والجمل تميل إلى الطول– غالبا–والحرص على التقسيم ظاهر في جميع الموضوعات ولما كان ابن المقفع كاتب فكرة قبل كل شيء فإنه قلما يعني بالمحسنات اللفظية، إلا ما قد تدعو الضرورة إليه، كأن يعين على ايضاح المعنى، أو يأتي عفوا دون اعتساف و اغتصاب، و الايجاز هو الغالب إلا أن يشعر بغموض الفكرة أو بعد المعنى، فيلجأ

لإيضاحه بالتعبير عنه بتعبيرات، أو يذكر لبيانه أكثر من مثل أو قصة كما هو واضح في باب عرض الكتاب.

٣/أهمية الكتاب:

*على الرغم من أن كتاب ابن المقفع لم يكن جديدا في مادته من الأمثال إلا أنه كان جديدا في أسلوبه وتوظيفه المثل في فعل قصصي ذي أهداف عظيمة وأفكار عميقة ورؤية واعية.

*شكل كتاب ابن المقفع منعطفا أساسا في القص العربي، فتح أفق السرد وطور فيه لونا سيسم أغلب التراث القصصي في العصور اللاحقة وهو القصة الإطارية التي تتفرع إلى قصص داخلية .فسيفسائية ترسم لوحة متكاملة ستترسخ مع ألف ليلة وليلة" والتي ستقوم على حامل فني هو الراوي والمروي له وهما عنصران فنيان افتراضيان يسوغان فعل القص، وستتحكم هذه الثنائية في تفصيلات الحكاية العربية طويلا

*إن كتاب كليلة ودمنة كتب بلغة أدبية راقية وبحكمة عميقة وهو ما باعدا الهوة بينه وبين القص الشعبي الذي أخذ ينحو منحى آخر بتأثير عوامل البيئة الاجتماعية التي ستزداد تعقيدا يوما بعد يوم .

*الكتاب يعبر عن التمازج الحضاري.اجتمعت فيه حكمة الهند وسياسية الفرس وبلاغة العرب .